في سيرة ذاتية جديدة

ديفيد فوستر والاس.. حياة وحب وخيال

ترجمة/ أحمد فاضل

في روايته الضخمة "دعابة بلا حدود" وصف ديفيد فوستر والاس الاكتئاب بأنه أشبه بسمكة قرش بيضاء كبيرة كثيرا ما تسبب الألم أو الموت، وهذا الوصف يؤكد عمق الاضطراب النفسي الذي تعرض له والاس والذي أوصله بعد أربع سنوات من الإصابة به إلى صدمة الانتحار ، دي . تي . ماكس الكاتب الأمريكي يعطينا تقييما لحياة والاس في سيرة ذاتية جديدة عنه صدرت مؤخرا عن دار نشر فايكنغ بالولايات المتحدة الأمريكية حملت عنوان "كل قصة حب هي قصة خيالية: حياة ديفيد فوستر والاس"، يكشف فيها جوانب خفية من قصة حب كان يصفها دائما بالخيال، ورسم أيضا خرائط لمنابع رؤيته الفلسفية والكتاب برمته يجسد نضال والاس ضد الاكتئاب الشديد الذي عانى منه طويلا ومعركته معه التي واجهها ليس بالكتابة فقط بل في عمله كأستاذ في كلية بومونا في كليرمونت بولاية كاليفورنيا لسنوات قليلة.

نما كتاب السيد ماكس هذا ليس فقط على ما دار من مناقشات محمومة في رأس والاس من قبل ولكنه أيضا تنقّل في الحياة اليومية له، كما كتب ذلك في مقال في مجلة نيويوركر عام ٢٠٠٩، وقد عاد في كتابه هذا ليعتمد على مراسلاته ومقابلاته مع عائلته وأصدقائه ووكيل أعماله، وكذلك اعتمد على دراسات سابقة أخرى أبرزها كتاب "حوارات مع ديفيد فوستر والاس" الذي حرره ديفيد ليبسكي، لكنه لا يلقي الكثير من الضوء على قرار والاس بعدم تناول الدواء الذي كان يساعده على احتواء مرضه الذي تعاظم عليه خلال سنواته الأخيرة من عمره التي انتهت بانتحاره، فقد راهن على عناده ذاك بعد تعرفه على الفنانة كارين كرين التي أحبها وتزوجها بعد ذلك مع أن ماكس لم يقدم صورة مفصلة في كتابه لمغامرات والاس العاطفية عندما كان شابا بل مر على تفاصيل حياته الدراسية وكيف أصبح مدرسا للفلسفة متأثرا بوالده أستاذ الفلسفة بجامعة إلينوي ووالدته مدرسة اللغة الإنكليزية اللذين كانا غير متأكدين من ولوجه الفلسفة بعد أن قدم طلبا إلى كلية الحقوق لكنه قرر في النهاية تحقيق رغبات والديه، والاس يظهر هنا على انه كتلة من التناقضات حتى في آرائه التي كان كثيرا ما يدلي بها في مقابلاته التلفزيونية ، في إحدى تلك المقابلات وحسب ما يرويه ماكس أن والاس اعترف بتأثير دون ديليلو وتوماس بينشون ودونالد بارثلم ودويستويفسكي فيه ما ظهر ذلك واضحا في أغلب أعماله التي تأطرت بخيال حاول رسمه بعناية وتلاعب بالألفاظ في أغلبها واهتمام بالميتافيزيقيا، خضعت جميعها كرغبة أكيدة وجدية منه على البحث في متاعب الإنسان وعواطفه، وعلى الرغم من أن القارئ قد لا يتفق مع كل ما طرحه ماكس في تعليقاته على روايات وقصص والاس القصيرة، لكنه استطاع أن يقترب من تطور أفكاره واستراتيجيات سرده، بدءاً من روايته الأولى "مكنسة النظام" إلى "الملك الشاحب" التي نشرت بعد وفاته في عام ٢٠١١، ماكس كان قد لاحظ وهو يقلب خطابات والاس أن روايته "دعابة بلا حدود" التي تعود كتابتها إلى العام ١٩٨٦ غلب عليها مفهوم ما بعد الحداثة بعد افتتانه به وتمكنه من تحديد مساحة أو "مساحات نشاطه"، إذ أن حركة هذا المصطلح باتت ناشطة وفاعلة في كافة الفضاءات الثقافية الغربية السياسية منها والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والفلسفية والأخلاقية والنفسية والمعرفية والأنثروبولوجية وغيرها ، فهي كمفهوم عمّ أنواع الدراسات الحديثة كافة التي تتناول مختلف النشاطات والفعاليات الاجتماعية الثقافية اليومية. والاس استطاع توظيف ذلك المفهوم في روايته الطويلة التي لم يستطع إكمالها بسبب انتحاره المفاجئ هي "الملك الشاحب" فقد ولج عالما أساسه المادة مبني على الروح البيروقراطية المتفشية بين مجموعة من العاملين في مصلحة الضرائب كان ناقدا لها بدون سخرية هذه المرة كما تميز بكتاباته من قبل وهو ما قاله صديقه وناشر كتبه مايكل بيتش ، في روايته هذه يطرح والاس على القارئ مناقشة قانون الضريبة الذي يعاني منه المواطن الأمريكي خاصة في زمن الحرب والهزات المالية ، وهي سابقة لم يعرفها الأدب الأمريكي من قبل مع ما تناوله فيها من إرهاب ورعب يسكن في زوايا تلك المصلحة بلغة دقيقة واستطراد بارع وتحليل نفسي لأغلب العاملين فيها خاصة من يحمل صفة مفتش، ملمحا إلى أن الملل والضجر يعشش في ثنايا مكاتبهم وأنه تشتت شيطاني مخيف يراه والاس نهايته الموت وروتين يومي قاتل نعيش تحت رحمته يمر دائما من أمامنا وأن كل يوم نفقده فيه لن يعود، وكذا هي السعادة كما يعبر عنها والاس هي القدرة على عيش اللحظة الحاضرة للعثور على واحد من الثانية من الفرح زائدا الامتنان على النعمة أن أكون على قيد الحياة وهو ما لم يكن قادرا على تحقيقه ما منح لروحه القلقة التي كانت ترى العالم صغيرا مع كل ذلك الاتساع والتمدد ضوءا أخضر كي يصعد الى شرفة منزله في كليرمونت بولاية كاليفورنيا في ١٢ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٨ ويلف على رقبته حبلا ليشنق نفسه بينما كانت زوجته خارج المنزل مخلفا وراءه أكواما من المخطوطات بما في ذلك مسودات وإسكتشات متنوعة أراد بها أن تكون دالة عليه كإنسان يفهمه العالم.

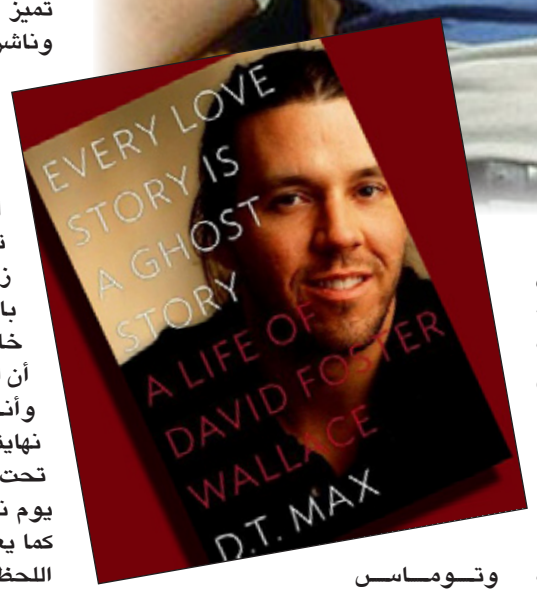

عن/ صحيفة نيويورك تايمز

البرج العاجي

▪فوزي كريم

قداس جنائزي لنيتشه

بعد جيل كارل نيلسون ظهر في الدنمارك موسيقي لا يقل موهبة عنه، ولكنه يقل شهرة بالتأكيد. فاونهولمبو VaganHolombo (١٩٠٩ ــ ١٩٩٦) لم يُعرف في عموم الغرب إلا في مرحلة متأخرة. ولحسن الحظ أني تعرفت على موسيقاه لأول مرة عبر عمل استثنائي، تحت عنوان «قداس جنائزي لنيتشه». فكم يستهويني العمل الذي تتعانق فيه الموسيقى والشعر والفلسفة على هذا المستوى من الرفعة.

موسيقى هولمبو مفعمة بالمشاعر ولكن وفق ضوابط، ومهذبة رقيقة ولكن في أفق ثقافة واسع وعميق. العمل وضعه المؤلف عام ١٩٦٤ لصوت الباريتون (طبقة رجالية وسطى) والتينور (طبقة رجالية صداحة) والكورس مع الاوركسترا، معتمدا مجموعة "سونيتات شعرية" وضعها صديقه الشاعر الدنماركي توركلدبيورنفج، بالغ الشهرة في بلده وحده، ونشرها ضمن مجموعة شعرية تحت عنوان Figure and Fire.

إعجاب الموسيقي بالقصائد كان وليد قناعته بأنها تسعى إلى أن "تعزز من مواقفنا وتنمي ثوابت ونظماً عالية للحقائق الفنية في زمن الارتباك والاضطراب والتمزق وحتى اليأس". وإعجاب الشاعر بالموسيقي كان وليد إحساسه بأنه " يجد فيه فضولاً فكرياً لا يلين، واستهدافاً للباب الإشكال من أي زاوية كانت، وهي خصائص تميز الفنانين الكبار، وكذا الفلاسفة والعلماء".

القصيدة لا تتابع قصة حياة نيتشه (١٨٤٤ ــ ١٩٠٠) بل تصف رحلة داخلية لهذا الفيلسوف، باتجاه التنوير العقلي والجنون معاً. تستوحي حياته وأفكاره، عبر تأويلات رمزية لما عرف من تطلعاتها وكشوفاته ومعتركه الداخلي، ثم انهياره التراجيدي المبكر. العمل الموسيقي بالغ التعارض في متطلباته للصوت البشري، بين همس وأداء عالٍ، كما يتطلب فطنة من المستمع في هذا التعبير الطليعي عن مدار تتداخل فيه الموسيقى والشعر والفلسفة. الرائع هو في متابعة النص الشعري العميق عبر بدائله اللحنية في موسيقى الاوركسترا وأصوات المغني المنفرد. ففي مفتتح الجزء الأول نطل على مشهد لحني وشعري لصحراء: " يخطو فيها المسيح داخل البرية، شابا متطلعاً لمواجهة الرب. وعلى ضوء القمر يرتقي أعلى الجبل، وقد استشعر الوحدة والهجران". بهذا يدخل الكورس بلحن يعيده صوت الباريتون ولكن بإيقاع أسرع وبلهجة تأملية:

"أكُتبَ على الأشياء أن تتضاعف في الهدأة المحترقة؟
أيتها الواحات، المدن الرائعة، والعوالم المجيدة،
المتبددة في السراب على امتداد الرمال.
هاهو ظله يغادره، ويصبحان اثنين".

يتردد بعده صوت المسيح (أو نيتشه، أو أي مبدع!): " اذا ما تعبدتني، فهذا كل ما ستملك»، ممثلا بندائه كل التطلع "الفاوستي" الخالد باتجاه المعرفة.

في الحركة الثانية تحت عنوان "بازل"، التي قضى فيها نيتشه سنوات عشرة محاضراً، ندخل موسيقى كورال هامسة، متكلمة، صارخة:

"في قلب الجلبة. تنافس السوق وصخبه،
حيث التقت الحقيقة مع الخوف.."

الكورس هنا يمثل "السوق الضاج بالبائعين وذرى التلال الطوال والليل الغيهب والصبح المتعب" الذي عرفناه لدى الشاعر السياب في قصيدته "العودة لجيكور". ولكنه أيضا مسرح الفشل الإنساني والشك الفلسفي الذي عبّأ كتابات نيتشه جملة. في هذه السنوات كان شديد الإعجاب بفاغنر وموسيقاه، ولذلك نسمع أصداء موسيقية من أوبرا "تريستانو أيزولدة" تتردد هنا.

في الحركة الثالثة "الأصدقاء" يغني صوت الباريتون بعنف رؤيا نيتشه: " رأى في ريح الفجر النرد الذهبي...". رؤيا الفرس رمز الحيوية الطبيعية، التي كانت آخر عهد نيتشه مع سوية عقله عام ١٨٨٩. في الرابعة تُعلن دعوى نيتشه بموت إيمانه، ثم تلي النتيجة واضحة بأن موت المعتقد الديني لن يُحل الإنسان من تبعة مسؤوليته الأخلاقية. الحركات التالية تدخل متوترة في حقل الجنون النيتشوي المضطرب، على شيء من لحظات صفاء غريبة الطابع تنفرد بها آلات مثل الفلوت، السُليستة، وآلة النقر الفيبرافون. تحل النهاية قبل الخاتمة في مدينة فايمر على صرخة نيتشه: " ياأخت، خذي الريح بعيداً عني!"، ثم في الحركة الأخيرة يسود السلام والسكينة، حيث لا مكان لنيتشه ولا لصوته، بل أصوات أثيرية: آلة القيثارة، السُليستة، والفيبرافون، على خلفية من الأوركسترا الخافتة. هنا يدخل المؤلف السكينة في ملكوت الله، ويُدخل معه نيتشه الرافض للسكينة والملكوت!

اتحاد الأدباء والكتاب السريان يحتفي بالباحث والأديب يونان هوزايا

شاكر مجيد سيفو

في نشاط جديد ومتميز من نشاطات اتحاد الأدباء والكتاب السريان، أقام الاتحاد مساء الثلاثاء ٢٥ أيلول ٢٠١٢، وبالتعاون مع جمعية الثقافة الكلدانية في عنكاوا بأربيل، حفلاً لتوقيع كتاب (نهراواثا) للباحث والأديب المعروف يونان هوزايا، وعلى قاعة أور التابعة للجمعية.

وحضرت هذا النشاط مجموعة نخبوية من أبناء شعبنا الكلداني السرياني الآشوري في مختلف المجالات، كل من عضو برلمان إقليم كردستان عن قائمة الرافدين السيد سالم كاكو والدكتورة جيهان إسماعيل، ومدير ناحية عنكاوا السيد جلال حبيب، وقيادات أحزاب وتنظيمات شعبنا في تجمع التنظيمات السياسية، ومدراء عامين ومدراء من أبناء شعبنا في عدد من المؤسسات الحكومية في الإقليم، ورؤساء وأعضاء الهيئات الإدارية لعدد من منظمات المجتمع المدني في عنكاوا، ونخبة من الأكاديميين والأدباء والكتاب والإعلاميين والشخصيات العامة وجمهور من المهتمين بالشأن الأدبي.

واستهل الحفل الثقافي بكلمة للسيد روند بولس رئيس اتحاد الأدباء والكتاب السريان، رحّب فيها بالحضور مستعرضا نشاطات الاتحاد خلال المرحلة الحالية والنشاطات المقبلة، مشيرا أيضا إلى هذه الفعالية وتوقيع المجموعة الشعرية الجديدة للأديب والشاعر يونان هوزايا، الذي شارك بعدها في تقديم عرض لهذا الكتاب ونبذة عن النصوص التي يتضمنها، والبالغة ثمانية عشر نصا، عشرة منها تنشر للمرة الأولى، وجميعها من الشعر الحر أو المنثور، تتأسس عشرة نصوص من الكتاب على البحر المتساوي أو النرساوي، وسبعة منها على الوزن البالاي ونص واحد على الوزن الآسوني كما وردت في مقدمة الديوان التي دبجها الشاعر نفسه..

وتناولت النصوص حياة شخصيات فارقت هذه الحياة، دون أن يعني ذلك أنه عبارة عن مراث.. إنما ذكرها هنا هو تعريف وتقييم لأعمال اشتغلوا عليها في حقوق تصب في مصلحة شعبنا والوطن.

وقد جاء تسلسل النصوص في مجموعة (نهراواثا) حسب أسبقيتها في الزمن، حيث قام الأديب هوزايا بقراءة مجموعة مختارة منها.

شارك بعدها الأديب والشاعر شاكر سيفو بتقديم مداخلة نقدية عن هذا الديوان، استهلها بمقدمة ونقد عن الشعر السرياني بشكل عام، وخصائص القصيدة السريانية ونهج شعراء شعبنا في نتاجاتهم وتعاطيهم مع القصيدة ومقوماتها، مشيرا إلى أننا ما زلنا نمتلك مشهدا شعريا أكثر من امتلاكنا قصيدة سريانية نقية تماما.. إلا عند عدد محدود من الشعراء.

قدّم بعدها عرضا لنصوص كتاب (نهراواثا) للأديب يونان هوزايا، مؤكدا أن الكتاب يتضمن تأسيسا للقصيدة السريانية الموزونة النقية، ومحللا نماذج من نصوص الديوان شارحا الأسلوب اللغوي والصور الشعرية فيها.

ثم كانت فقرة المداخلات التي شارك فيها عدد من السادة الحضور، وتضمنت كلمات إشادة بهذا النشاط ومضامينه وضيفه وكتابه الجديد، مع تساؤلات وطروحات تتعلق بالأدب السرياني بشكل عام، والقصيدة السريانية في حاضرها وآفاقها المستقبلية.

جانب من الفعالية

يوميات احمد مهنا الصغيرة في مؤسسة الحوار الانساني

لندن/ عدنان حسين أحمد

المهنا مع خالد القشطيني

نظّمت مؤسسة الحوار بلندن أمسية ثقافية للكاتب والصحفي العراقي أحمد المهنا تحمل عنوان "يوميات صغيرة في هموم كبيرة". وقد ساهم في تقديم المحاضر وإدارة الندوة الكاتب والصحفي المعروف خالد القشطيني الذي يشترك مع المحتفى به في كتابة المقالة الأدبية الراسخة، وليس المقالة الصحفية الطارئة التي لا تصمد أمام تيّار الزمن الجارف. أشار القشطيني في مستهل تقديمه إلى مفهوم شائع في الأدب العربي مفاده "المدح من باب الذم" أو "الذم من باب المدح"، وتساءل: "كيف يمكن للإنسان أن يذم صاحبه ويشتمه ويدّعي بأنه يمدحه"؟ ثم التفت إلى صاحبه وقال: "أحمد المهنا رجل مُتقلب"، وكلنا يعرف بأن المتقلب هو الشخص القُلُب الذي لا يثبت على حال، ولا غرابة في أن يتلون كالحرباء أيضاً، لكن القشطيني لم يذهب هذا المذهب في ذم أعز أصدقائه، كما قال، وإنما يعني أن "المهنا" هو رجل مرن، ويتفاعل مع الأحداث والمستجدات والحقائق، وعندما يكتشف شيئاً جديداً فإنه يطوِّر فكره على وفق هذا الشيء الجديد، ومن هنا ينبع وصفه بالمتقلب أو القُلب على وجه التحديد. ثم مضى إلى القول بأن المهنا رجل متحرِّك المبدأ، وليس ثابته، وهذه الصفة الحركيّة تتطلب شجاعة قد لا يتوفر عليها كثيرون، فليس من السهل على الإنسان أن يؤمن بشيء، ويدعو له لمدة طويلة من الزمن، ثم يكتشف خطأ هذا الموقف الذي تبّناه فيعترف بخطئه، ويصحح مسار تفكيره من جديد. ولكي يثبت القشطيني جرأة المهنا وشجاعته أورد حكاية استكتابه لصحيفة "العالم" التي رأسَ "المهنا" تحريرها لمدة من الزمن وأخبره بأنّ بإمكانه كتابة مقالته اليومية على وفق هواه من دون أن يتدخل أحد في طبيعة المادة التي يكتبها. أشار القشطيني أيضاً إلى شجاعة المهنا ثانية حينما اتجه بعد تخرجه من قسم اللغة العربية إلى الفضاء الإعلامي الرحب مُتخلياً عن "كان وأخواتها وبنات عمها" ومذكراً إيانا بكتابه الأول "الإنسان والفكرة"، وكتابه الثاني "الأمر رقم واحد: قصة اجتثاث البعث في العراق"، وكتابه الثالث الذي سوف يصدر لاحقاً بعنوان "يوميات صغيرة في هموم كبيرة"، ثم دعا الحاضرين للترحيب بالمحاضر.

شكرَ المهنا التوصيفات التي أغدقَها عليه القشطيني وقال بأنه قد لا يستحقها، ولكنه فخور بها لأنها صادرة عن قامة كبيرة في الثقافة العراقية والعربية، وأن هذا التقييم سوف يحمّله مسؤولية كبرى في الأيام القادمة. أما بصدد الذم العلني فقال المهنا بأن كلام القشطيني يذكره بمقولة للحسن البصري مفادها "ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر"، وأضاف بأن الشعوب القوية تنتقد ذاتها أكثر مما تمدحها.

أشارَ المهنا الى أنه سيقسِّم المُحاضرة إلى قسمين رئيسيين حيث يقرأ في القسم بضع مقالات وعدَ بأنها ستكون قصيرة كي (لا يُسقِم الحاضرين ويضنيهم)، أما القسم الثاني فسيخصصهُ لتقديم رؤية نقدية عن الصحافة العراقية في الماضي والحاضر في آن معاً. نوّه المهنا بأن هناك نوعين من المقالات، الأولى تسمّى المَقالة الصحفية التي تتناول الأشياء الطارئة والعرضية، وهناك نوع ثان يسمّى بالمقالة الأدبية وهي النوع ذاته الذي يكتبه القشطيني، وإذا كان النوع الأول ينتمي إلى عالم الإعلام كلياً وهو أقرب إلى التقرير، فإنّ النوع الثاني ينتمي إلى العالمين لأنها تُنشر عبر وسائل الإعلام المعروفة، لكنها أكثر قرباً إلى عالم الكتاب لأنها أطول عمراً، وذكر المهنا "حديث الأربعاء" كنموذج للنوع الثاني الذي ينشد الرسوخ في ذاكرة القرّاء. أشار المهنا إلى رائد المقالة الفرنسية ميشيل دي مونتين الذي رسّخ هذا النوع من المقالات الأدبية التي تتميز بالعمق والجمال، وتمنى أن تكون مقالاته التي سيقرأها مسليّة في الأقل إن لم تكن مفيدة. لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى أن فن المقالة قد ازدهر في النصف الثاني من القرن العشرين على أيدي نخبة من الكتاب العراقيين نذكر منهم علي جواد الطاهر، يوسف الصائغ، عبد المجيد لطفي، نجيب المانع، صلاح نيازي، عبد الجبار وهبي، محسن الموسوي وعشرات الأسماء الأخرى التي لا يسعها هذا المجال.

قرأ المهنا سبع مقالات وصفها بأنها أدبية وهي على التوالي: "في بيتنا طاغية"، "حيدر صالح"، "صبوة الكهرباء"، "كنت سأقتله بالحق"، "السيدة الدنماركية"، "مَنْ لا يكره بغداد" و "ذلك الكتاب، ذلك المؤلف". وقد أثارت غالبية المقالات ردود أفعال إيجابية، لكن البعض الآخر لم تنجُ من الملاحظات السلبية كالسرقة التي يعاقب عليها القانون كما هو الحال في مقالة الشاعر "حيدر صالح" الذي سرق قنينة جبنة و"كان مستعداً لأن يسرق جبلاً عندما تثور عنده رغبة العطاء" أو التشجيع على ترويج المحكية العراقية واستعمالها في المقالات والنصوص الأدبية، بينما يستغرب المهنا نأي المثقفين العراقيين عن لهجتهم، ونكرانهم لها.

أثار الحاضرون عدداً غير قليل من الأسئلة الجوهرية التي سوف نغطيها في مقال لاحق، لكنني على الصعيد الشخصي وجدت من المناسب أن ألفت عناية صديقي أحمد المهنا إلى أن هذا النوع من المقالات يمكن أن نطلق عليه اسم "المقاصة"، وهو مصطلح يمزج بين المقالة الأدبية والقصة القصيرة، وكان بإمكان كاتب المقال أن يحوّل بعضاً من هذه النماذج إلى قصص قصيرة خصوصاً وأنها تتوفر على ثيمات محددة، وفيها شخصيات، هذا إضافة إلى الجانب السردي، واللغة المنتقاة. وإذا كان القشطيني، مدير الندوة قد اتفق معي في هذا الصدد وطلب منه أن يتحول إلى كاتب قصة قصيرة كي يزاحم الآخرين فإن صديقاً آخر قد رأى في بعض هذه النماذج جنوحاً إلى الخواطر التي يحضر فيها الأصدقاء مثل عبدالله صخي وفوزي كريم وحيدر صالح وغيرهم من الأدباء المعروفين والمغمورين على حد سواء. أما رد المهنا فيمكن تلخيصه بالآتي: " المقالة شيء مفتوح ولا يمكن تحديده". ثم استعان بعلي جواد الطاهر الذي يركز على "وجود العناصر الإيجابية في المقالة مثل "صدق التجربة، وشيء من الذات، وشيء من التفنن في عجينة اللغة" أما الأشياء السلبية التي يود الطاهر استبعادها كما يذهب المهنا فهي " الميوعة العاطفية، واللعب الخيالي القائم على الانفعال". ثم ختم المهنا حديثه في هذا الصدد بتعريف الكاتب البريطاني آرثر بنسون الذي يرى في المقالة كياناً مفتوحاً، ويعرِّفها بأنها إحساس شخصي، أو أثر في النفس أحدثه شيء غريب أو جميل أو مثير للاهتمام أو يبعث على الفكاهة والتسلية". وخلص إلى القول بأن كاتب المقالة هو في نهاية المطاف شخص يراقب، ويسجِّل، ويفسر الأشياء كما يحلو له".